وقفات مع سورة الحج

(اللقاء الثاني)

أ.أناهيد السميري

ألقي يوم الأربعاء ٤ ذو الحجة ١٤٣٤

بسم الله الرحمن الرحيم

أخواتنا الفاضلات، إليكم سلسلة تفاريغ من دروس أستاذتنا الفاضلة أناهيد السميري حفظها الله، وفّق الله بعض الأخوات لتفريغها، وسمحت لهنّ الأستاذة بنشرها، ونسأل الله أن ينفع بها، وهي تنزل في مدونة (عِـلْـمٌ يُـنْـتَـفَـعُ بِـهِ)

http://tafaregdroos.blogspot.com/!#/

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح.
- هذه التفاريغ من اجتهاد الطالبات ولم تطلع عليه الأستاذة حفظها الله، أما الدروس المعتمدة من الأستاذة فهي موجودة في شبكة مسلمات قسم (شذرات من دروس الأستاذة أناهيد)
http://www.muslimat.net/

- الكمال لله عز وجل، فكتابه هو الكتاب الوحيد الكامل السالم من الخطأ، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم فيه من خطأ فمن أنفسنا والشيطان، ونستغفر الله..

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نحمده سبحانه وتعالى ونشكره ونسأله أن يقبل أعمالنا في هذه الأيام العظيمة، **ونكبِّره ونكبِّره ونكبِّره**، ونعلم أن من منّته علينا أن مدّ في أعمارنا فعشنا هذه الأيام الطيبة خير أيام الدنيا.

الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد

ولابدَّ أن نعلم كما قال الإمام الطبري: "اعلموا عباد الله، أن أحقَّ ما صُرفت إلى علمه العناية، وبلغت في معرفته الغاية ما كان لله في العلم به رضى، وللعالم به إلى سبيل الرشد هدى، وإن أجمع ذلك لباغيه: كتاب الله الذي لا ريب فيه، وتنزيله الذي لا مرية فيه، الفائز بجزيل الذخر، وسنا الأجر تاليه، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد".

فإذا كان هذا كما قال الطبري أعظم العلوم وهو العلم بكتاب الله، كان الواجب علينا العناية بكتاب الله في مثل هذا الزمن الفاضل.

وقد مرَّ معنا بالأمس وقفتين في سورة الحج:

- وقفنا أولا مع اسم السورة.
- ثم وقفنا مع الموضوع الرئيس في السورة وهو موضوع التقوى.

وقد ذكر غير واحد من المفسرين أن مقصود السورة **الحث على التقوى** التي ترفع الإنسان إلى أن يعامله ربه بالفضل في يوم الفصل.

وورد في ثنايا نقاشنا أمس الكلام حول التقوى، والأمر بها في السورة، ومعناها، ومورد التقوى وكيف تزيد، ودخلنا في النقاشات التفصيلية التي تتصل بهذا الأمر.

الوقفة الثالثة: أصناف الناس الذين ذكروا في سورة الحج

وقد ذكر المفسرون لهذه الأصناف أنواعًا من الربط والبيان، فنذكرهم منفردين ثم نجمعهم بصفة تميّزهم.

١. فأول صنف أتى في مطلع السورة، في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ﴾[١]

﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾ أتت بعد قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾، أتى بعد هذا الخطاب تصنيف صنف من الناس.

والمقصود أن هناك من يستجِب لتقوى الله فينجو، وهناك من لا يستجِب، فإذا لم يستجِب، سيكون حاله أنه يجادل في الله بغير علم، فكان هذا الصنف الأول.

٢. ثم ذكر تعالى صنفًا ثانيا فقال: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾[٢]

وهذا يشترك مع الأول في الجدال، ويتخلف عنه بأمور سنراها إن شاء الله.

٣. ثم أتى النوع الثالث :﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [٣]

وهذا والعياذ بالله صنف أيضًا من أصناف الناس الداخلين في الأمر بالتقوى.

٤. ثم يأتي الصنف الرابع في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾[٤] .

---

(١) الحج : ٣

(٢) الحج : ٨

(٣) الحج : ١١

(٤) الحج : ١٤

إذًا أصناف الناس الأربعة:

١. (وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ)
٢. (وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ)

يجتمع الصنف الأول والثاني:
في صفة الجدال
لكن الأول: يجادل متبعًا
الثاني: يجادل رأسًا

٣. (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ)
٤. (إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ)

يجتمع الصنف الثالث والرابع:
في صفة الإيمان
لكن الأول: يعبد الله على حرف فإيمانه ضعيف
الثاني: إيمانه قوي

فأصبح عدد هؤلاء الأصناف أربعة، يجتمع الصنف الأول والثاني في صفة الجدال، ويجتمع الثالث والرابع في صفة الإيمان.

إلا أن المجادلين:

الأول: يجادل مُتَّبِعًا.

والثاني: يجادل رأسًا.

والقوم الذين يجمعهم الإيمان:

الأول: يعبد الله على حرف، فإيمانه ضعيف.

والثاني: إيمانه قوي وقد أُخبرنا عنه بفعل الله له، وهو أنه يدخل هؤلاء الصنف جنات تجري من تحتها الأنهار.

ثم يزداد الأمر بيانًا لنا خصوصًا الصنف الأخير وهم المؤمنين، **فيظهر لنا في السورة أن هؤلاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات وُصِفوا بصفات منها:**

- **أنهم مخبتين:** فالذين آمنوا وعملوا الصالحات وُعِدوا بوعود، وذُكر وصفهم أنهم المخبتين، ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾ وهؤلاء المخبتون أخبر الله عزَّ وجلَّ في صفتهم أنهم ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾

ففهمنا من ذلك أنَّ الله بمنِّه وكرمه يُعطي هؤلاء الذين ظهر عليهم آثار الإخبات الأجر العظيم والثواب الجزيل.

- وأيضا هؤلاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات وُصفوا بوصف آخر وأنهم القوم الذين: ﴿ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ﴾[٥]

الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد

نعود الآن للكلام عن الصنف الأول بجامع الجدال: ونقف مع مسألة الجدال مجموعة وقفات فنقول:

- الله سبحانه وتعالى بعد أن أمر الخلق بالتقوى، خاطبهم جميعًا: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾ خاطبهم جميعًا بالأمر بالتقوى، أخبر عن صنف لم يستجب لهذا الأمر، أخبر عن فريق يُعرض عن هذا الأمر ويعارضه بالجدل الباطل.

في أيّ شيء يجادل؟ في شأن الله تعالى! يجادل في وحدانيته وكمال صفاته.

فما هي المجادلة؟

المجادلة هي المخاصَمة والمحاجّة. لكن هذه المحاجَّة تفتقد الحُجَّة؛ وليس لأهلها مَحَجَّة، وليس مقصودهم معرفة الحق، بل غاية ما عندهم معارضة الحق بالباطل.

فإذًا هذا الصنف الجامع بينه: الجدل. والجدال هو المخاصمة والمحاجة، والمخاصمة والمحاجة إن كانت بحجة قُبلت، وإن كانت بغير حجة رُدّت، **ولذلك كان أيضا الجامع بين هذين الصنفين أنهم يجادلون في الله بغير علم.**

في الصنف الأول: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾.

---

(٥) الحج : ٤١

وفي الصنف الثاني أيضًا: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾.

- يجادلون في من؟ يجادلون في الله.
- ماذا يقصدون بهذا الجدال؟ يقصدون بهذا الجدال التنصُّل من حقّ الله.
- في أيّ شيء؟ في تقواه.
- كيف يتنصّلون من حق الله وهو أهل التقوى وأهل المغفرة؟! إنهم لا يرون ولا يعلمون عظمة الله! لا يشعرون أنه هو أهلٌ أن يُتقى ويُعبد، لأنهم لا يعلمون عن كمال صفاته، فهم صارفين قواهم لغير ما خُلقت له.

وهؤلاء قال الله في حقهم كما في سورة الإسراء: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُوراً﴾[٦] .

إنهم لا يستطيعون –بسبب ما في قلوبهم من إعراض– أن يروا آثار كمال صفاته! وأنّ هذا الموجود حولهم إنما هو من آثار قدرته، وحكمته، ورحمته.

فهؤلاء قلوبهم في أكنَّة، وإذا ذُكر الله بكماله وأُمروا بتقواه وحده، وعُظِّم لهم سبحانه، تراهم يُولّون على أدبارهم! **وَصَفَهم الله لنا في سورة الزمر فقال:**

﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾[٧]

- هؤلاء المجادلين يجادلون في الله، وهم لا يعرفون الله!
- جدلاً ناشئًا عن سوء نظر وسوء تفكير.
- لا يعلمون عن كمال الله.
- لا يعلمون عن أدلة وحدانية الله.
- إذا أمرتهم بالتوحيد، اشمأزت قلوبهم.

الله يقول في وصفهم في سورة غافر: ﴿ذَلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾[٨] .

---

(٦) الإسراء : ٤٦

(٧) الزمر : ٤٥

قوم ما كان لهم حُسْنُ نظر، ولا انتفعوا من عقولهم، إنما ألقى عليهم الشيطان الوساوس، فما كان منهم إلا الإستجابة، وهؤلاء الشياطين –شياطين الإنس والجن– عليهم من الله ما يستحقون، مُضلِّين، يُضلُّون من كان في قلبه مرض، ولم ينتفع بما جعله الله دليلًا يدلُّ عليه، سواءًا في فطرة الإنسان أو سواءًا كان حوله في الكون، وفي نفسه، وفي كل شيء.

هؤلاء القوم يتصفون بالجدل في الله بغير علم، ولكنهم ينقسمون إلى قسمين:

١. قسم يتَّبع كل شيطان مريد.

والمريد : بمعنى العاتي، إذا عتى في شيء وبلغ الغاية يُقال عنه مريد، يعني هذا عاتي في الشيطنة.

يقول الله عز وجل في حق هذا: ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾[٩]

بمعنى أن من تولى هذا الشيطان، معلومة نهايته:

يُضلّ من تولاه عن الحق

ويهدي من تولاه إلى عذاب السعير.

فمثل هؤلاء المجادلين الذين جمعوا بين الجهل وبين المتابعة قد حكموا على أنفسهم بالضلال، وأوصلوا أنفسهم إلى الردى والهلاك، **والسبب:** جهلهم بربهم، وجمْعهم مع الجهل الاستماع لكل ناعق يستعمل عقله الضعيف في المجادلة في الله العظيم.

فيبدأ شأن هؤلاء من: إنكار قدرة الله، وتعظيم السبب، وجعله فاعلاً، ونسبة الأمور إليه، وسير الأحداث ونظامها، يجعلون كل هذا منسوبًا إلى السبب! (فالأرض مستقرة لأن الجاذبية تفعل كذا وكذا، والسماء مرفوعة لأن الكون بُني على كذا وكذا.!)

فإذا قلت لهم : إن الله يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، جادلوك في الله! واستسخفوا شأنك، واستصغروا حجمك، متبعين في ذلك شيطانهم المريد الذي يلقي عليهم الشُّبه، يبتدئ بهذا وينتهي –والعياذ بالله– بأن يتلقفوا من ساداتهم وشياطينهم أن هذا الكون إنما هو وليد الإنفجار الكوني! وليد الصدفة! وليد أحداث يخترعونها ويتخرصونها،

---

(٨) غافر : ١٢

(٩) الحج : ٤

وهم في هذا لا يستعملون ما وهبهم الله من عقول، ولا حتى يقبلون أن يستمعوا، قد عماهم التعصُّب للشياطين التي يستمعون لها، وأعظم وأغرب شيء في شأنهم: أنهم يدعوننا إلى التفكير ولا يدعون أنفسهم إلى التفكر!!

يرمون أهل الإيمان والتصديق –بالحقائق التي أخبر الله عز وجل عنها في كتابه– بأنهم معظِّمين لشيوخهم، تابعين لهم، **والعجيب أنَّ الله وصفهم هم أنهم يتبعون وأنهم ذيول لكل شيطان مريد!**.

وأما أن أكون تابعًا في الحق، فخير لي من أن أكون رأسًا في الباطل.

على كلٍّ ، هذا الصنف من الخلق ما أكثره!، وإن صدق ما أظهره في الأدلة في الجواب عليه.

٢. قسم بمثابة الرأس، يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير وثاني عطفه ليضل عن سبيل الله.

وأما الصنف الثاني في المجادلين فهم رأس البلاء وحقيقتهم أنهم جمعوا بين صفات مهلكة للعبد لابد، فأما صفاتهم فقد ذكر الله عزَّ وجلَّ عنهم فقال:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ هذا يشترك مع الأول. لكن يزيد عليه: ﴿وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ (٨) ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾

فلنتأمل هذه الصفات ونكن في حال من الخوف من أن يكون فينا منها شيء، فالله عزَّ وجلَّ أخبرنا بهذه الصفات ليس لنتركها، مستبعدين عن أنفسنا أن نكون من أهلها، ولا لنذم غيرنا، إنما لنعرض أنفسنا عليها.

لماذا يجادل هؤلاء في الله بغير علم؟ ما الذي يدفعهم للجدال في الله عند سماعهم الإنذار بالساعة؟ ما دافعهم للجدال في الله عند وضوح الأدلة على البعث؟

السبب : أهواءهم.

فَهُمْ الآن بعد بيان الأدلة لا علم عندهم، وانتفى عنهم الهدى، وانتفى عنهم أنهم يتلقون شريعة.

ما العلة؟

- التكبُّر عن الاعتراف بالحجة.
- محبة العلو على الخلق.
- أن هؤلاء مصابون بداء الكبر!

فإذًا هؤلاء كانوا بمثابة الرؤوس، إذا جادلتهم في شأن الإسلام، إذا كلمتهم عن الله، خرجوا لك بالفلسفة، وأتوا لك بأسماء لا تعرف لها في الحق نصيب! ليس لهم من العلم شيء ولا من صدق القصد شيء.

- تجد هذا متكبرا ﴿ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾
- يبذل جهده من أجل أن يبطل الإسلام ويشكك المسلمين.
- ويضعف ثقتهم بربهم، ويجعلهم يسيؤون الظن في إلههم العظيم وربهم الكريم ومولاهم الرحيم.
- يقلّب عليهم في شؤون الدين، فيشككهم في حفظ الله لدينه.
- وتجد أن عليه مسحة النفاق! فلا تجد على ظاهره متابعة السنة، ويتَّهم كتب السنة.
- باذل جهده الليل والنهار أن يأتي إلى الحقائق الإسلامية فيُغِير عليها بقوّته، ويشكك الناس في صدقها.
- ويأتي برجال أفنوا أعمارهم في جمع حديث النبي صلى الله عليه وسلم، فيتهمهم بالكذب عليه، ويتهمهم بأنهم كانوا يوالون الدُّول التي كانوا فيها، وأنهم كانوا يكتبون لصالح هذه الدُّول الأحاديث التي تروق لهم، ويتَّهم رجل مثل البخاري رحمه الله قضى سبعة عشر عامًا في كتابة صحيحه، يتهمه أنه والى أهل زمانه من أهل السلطة، فترك من حديث النبي ما يعلم صحته لمجرد إرضائهم!
- ويُغـِير على حقائق الدين وينكرها، ويأتي إلى الأحاديث التي تثبت خروج الدجال فيستهزئ بها، وأخطر ما في الشأن أنه يعتلي منبرا ويجادل في الله بغير علم!

فالله المستعان وعليه التكلان، عشنا حتى رأينا مصداق النبي صلى الله عليه وسلم في وصف هؤلاء ((دُعاةٌ على أبوابِ جَهَنَّمَ))[١٠] لو تدري كيف وصفهم النبي صلى الله عليه وسلم، كيف أن لهم قلوب كقلوب الذئاب! إلاأن هذه القلوب لا تُظهر ما فيها، هؤلاء دعاة على أبواب جهنم، يجادلون في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير، **وحقيقتهم: أنهم يهدون بغير هدي النبي صلى الله عليه وسلم، تعرف منهم وتنكر.**

((دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها!)) وقد وصفهم النبي صلى الله عليه وسلم: أنهم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا! قلوبهم قلوب الذئاب، وهذا أمر أكثر المسلمين لا يتطرَّق إلى عقولهم وجود دعاة على أبواب جهنم، نعم إنهم دعاة على أبواب جهنم، من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا! فالله المستعان وعليه التكلان.

---

[١٠] رواه البخاري في صحيحه.

على كل حال يجتمع هذان الصنفان:

- في أنهم يجادلون في الله بغير علم.
- وأن جدالهم هذا في الله وقدرته وعظمته وسلطانه وجبروته وكماله وجلاله.
- هؤلاء جدالهم كله يدور حول الغيبيات، ينكرونها، وينفونها.

ثم إن الأول حاله أنه متبع لكل شيطان مريد:

وهذا المتبع كيف عامله الله؟ كما في السورة قال له ولغيره: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ﴾ فأتت الأدلة لمن صدق أنه يريد الأدلة، لمن كان حقًّا يريد البيان، ولذلك –وهذا من عجيب هذه السورة– بعد ما أخبر عن هذا الصنف الأول المجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد، بيّن الحق لمن يريد الحق.

ثم أتى الخبر عن الصنف الثاني ، الذي لا يبحث عن الله، ولا يقبل به، وإنما هو رأس في الباطل:

لا عنده كتاب يتلوه، ولا نور في قلبه يتفكر بأثره، إنما كِبْر، وجَمَع مع الكبر إرادة إضلال الناس.

فاللهم سلم، اللهم سلم.

إذا عرفنا هذين الصنفين وكيف حالهم مع الجدال، عرفنا ما يمر به العالم الإسلامي، وما يظهر بين الفينة والفينة ممن يشكك في شريعة الإسلام، أو يتعدى الشأن فيشكك في كمال صفات الله، بل يتعدى الشأن ويشك في وحدانية الله، بل وفي وجود الله! حفظنا الله وذارينا من الجدال ومن الشك ومن النفاق.

اللهم أبرم لهذه الأمة أمر رشد يعز فيه أهل طاعتك، ويُهدى فيه أهل معصيتك، ويُؤمر فيه بالمعروف ويُنهى فيه عن المنكر. اللهم آمين.

الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد

يبقى علينا الكلام عن صنف المؤمنين

ولما نأتي إلى هذا الصنف نجد أن ليس كل من ادّعى الإيمان كان مؤمنًا.

٣. فإن قومًا عبدوا الله على حرف وهؤلاء بلا شك هم أهل النفاق:

- متى طابت دنياهم رضوا عن ربهم، ومتى ضاقت عليهم الدنيا –وهذا من شأنها– فإن أصابته فتنة أو اختبار، انقلب على وجهه.

فما أعظمها من بليّة وما أخسّها من صفة

- هؤلاء قوم يقابلون الأمر بالتقوى والإنذار بالساعة مقابلة من يعتني بالدنيا غير مطمئن ولا مُستظهِر آخرته، نعم إنه ليس مُعرِضًا إعراضا تامًّا، لكن مثل هؤلاء دائمًا يوازنون! ماذا سأكسب من الدنيا إن بقيت في الاستقامة؟! وماذا سأخسر من الدنيا لو كنتُ مستقيما؟!
- ثم يُقبلون على دينهم إن حقق لهم ما يريدون، وإذا وجدوا أن ترك الاستقامة على الدين تُصلح لهم دنياهم، فرّوا من دينهم وخرجوا منه، نعوذ بالله من الخذلان.
- وإن أصابهم شر من شرور الدنيا العارضة سخطوا على الإسلام وانخلعوا منه وتعدُّوا على ربنا العظيم الكريم وأساؤوا الظن فيه!

وما الضيق في الدنيا إلا مخرجٌ للفرج، وما العافية إلا نذير البلاء، هكذا هي الدنيا!.

فأما هؤلاء فعلامة النفاق ظاهرة عليهم؛ لا يرضون عن ربهم إلا إذا أعطاهم ما يريدون، إن أصابه خير عرفوا أنه حق، وإن أصابهم غير ذلك قالوا عنه أنه باطل.

وأكيد أن السبب في ذلك: الجهل، واختلاط الأسباب الأخروية بالدنيوية والمقارنات التي ليس لها أصول.

ولما تحصل أمور هي من شأن الدنيا يجعلونها لازم الإيمان، فإذا صلّى واستقام فلم يجد مراده في حياته يسألك ما فائدة الاستقامة!! سبحان الله!.

على كل حال مثل هؤلاء مثَّلهم الله بحال من يمشي على حرف جبل أو حرف وادي، فهو متهيء لأن يزلَّ عنه في أسفله فينقلب، هذا مثل العبد الذي على حرف متردِّد في عمله، يجرّب ربه !! يريد أن يجرب عاقبته ماذا لواستقام!! فإذا لم يجد مراده انقلب ، نعوذ بالله من الانتكاس.

على كل حال، إذا علمنا هذا الصنف من الناس وجدنا أنه في الحج ظاهر، وأن أقوامًا يفسدون على أنفسهم حجَّهم إذا حصل لهم ضيق في الحج، فتراهم بعد الرحلة الشاقة والوصول الصعب، إذا ضاقت عليهم شؤون ما عاملوا الله بالصبر والثقة إنما انقلبوا على وجوههم، **وهذا طبعًا بسبب ضعف الإيمان أولًا**.

فاللهم سلّم قلوبنا واحفظ إيماننا واجعله سببًا لنجاتنا. اللهم آمين.

على كل حال هذه أصناف نراها حولنا ولا ندّعي السلامة لأنفسنا، بل نسأل الله وحده أن يجعلنا من الصنف الرابع

٤. وهم: الذين آمنوا وعملوا الصالحات.

ويُفهم مما مضى أن هؤلاء الصنف الرابع

- قوم قد استقرَّ الإيمان في قلوبهم وتمكَّن منها.
- وتبيَّن له كمال صفات ربه.
- فما كان منه إلا أن يعمل الصالحات، ليتقرب من ربه ويرضى عنه.

وهؤلاء –بإذن الله– سيكون لنا معهم غدًا وقفةً طويلة نعرف فيها صفاتهم بالتفصيل خاصّةً ما ورد في سورة الحج عنهم[١١].

فاللهم اجعلنا من أهل الإيمان، واصرف عنا الشيطان، واكفِنا شر شياطين الإنس والجن، اللهم آمين.

الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد

[١١] لم يتيسر لقاء ثالث، لكن منّ الله علينا بلقاءات أخرى جديدة حول وقفات مع سورة الحج.